(الرفيق «المميز» الذي تقاءلنا بخروجه من «الكيس» وما رشح إلينا عن سنوات اعتقالك بيزيدنا تقاولاً، لقد كنت رفيقاً وشقيقاً أكبر استشعر مسؤولياته بعد تجربة صمودية «اقتحمت السماء» على غرار رجال كومون باريس الذين ذبحوا مع عوائلهم ولم يكن بين أيديهم سوى سلاح الحجارة وبعض البنادق، على أيدي برجوازياتهم وبإسناد من البرجوازية الألمانية، عدوة الأمم. هل تصدق أن البرجوازية الفرنسية والألمانية اللتين احترقتا، حيث انتصرت الثانية وأسرت معظم جنود الأولى قد أطلقت سراحهم لتقوم البرجوازية الفرنسية بذبح أبناء جلدتها. فهي بطلة على العمال والفقراء الذين يطالبون بأودهم وكرامتهم وجبانة ومهزومة مع العدو القومي... لعل البرجوازيات العربية، وهي برجوازيات كومبرادورية - بيروقراطية في أغليبتها، وليست برجوازية إنتاجية، أي أسوأ طبقات رأس المال بل مرتهنة بقدر كبير للمركز الإمبريالي، لعلها لا تصل إلى ما وصلت إليه البرجوازية الفرنسية.... انظر ماذا فعلت في أيلول الأردن والحرب الأهلية في لبنان وقمع انتفاضة الجوع في مصر التي أسماها السادات «انتفاضة الحرامية»، والسياسات الدموية لنظام بغداد، وتعاون أوساط أنظمامية في السودان ومصر وليبيا لذبح الحزب الشيوعي...

فبدل أن تؤدي برجوازيتنا العربية دورها المفترض في التنمية والمأسسة وتأمين قانون يحترم التعددية وحق التنظيم والإضراب والتظاهر... وبعض المكاسب الاجتماعية، أي ١٠٪ مما أنجزته البرجوازية الأوروبية أو سواها، نراها تتفنن في إقصاء المناخات التي تتيح ممارسة السياسة... والسياسة صراع وتسويات، الأمر الذي يتطلب وجود الآخر والاعتراف به وبحقوقه لكيما يتم الصراع والتسوية معه، أما في بلداننا العربية «برجوازيتنا» تصرف بعقلية زعيم القبيلة الذي على القبيلة الانصياع له، أما أي شخص يعارض فمصيره القتل أو الطرد في الصحاري. فأسلحة برجوازيتنا القتل/السجون/التجويع/الاحتواء/التهجير خارج الوطن، حيث غالبية العقول العربية تعيش في المهاجر. وشيء يرقى إلى مستوى اللعنة أن يجد الكثير من الماركسيين في فرنسا والغرب فرصة عمل وحرية تعبير، أي في البلدان التي يناهضونها، فراراً من «ديموقراطية» أنظمتنا العربية...!!

عرفات لا يفعل ذلك، فلم يصل به الأمر هذا الحد، صحيح أنه استخدم المدفعية عام ١٩٧٧ في لبنان لكن أصوات قوى الرفض، ولكن الحكيم حينذاك عارض التقديرات التي قالها بعض قادة قوى الرفض أن عرفات قبض ثمن رؤوسهم ولن يتوقف... وقال الحكيم: مناورة وضربة محددة لإسكات الصوت المعارض... وبالتالي علينا التمسك بصوتنا وتحريك الجماهير للاحتجاج.... وفعلاً تمت محاصرة نار الاقتتال الداخلي.

فوجود قائد المعني وأخلاقي كالحكيم إنما يجنب الساحة مزلق مرعبة. وهذا درس لنا. فمدرسة الحكيم هي مدرستنا، علماً أننا عانينا في السنوات الأولى وأخر السبعينات في سجون الاحتلال الكثير من التجاوزات والاعتداءات العنيفة والزعرنات التي انطلقت من قاعدتين: فهم خاطئ لدى مسؤولي فتح الذين ظنوا أنفسهم جبهة التحرير الجزائرية، وبالتالي على الجميع الانصهار فيهم، وقد احتاجوا لوقت ريثماً أدركوا التعددية الفصائلية والفكرية والسياسية... وصدف أن اعتقل رجل محترم منهم (بسيسو) عقليته منفتحة